الأسس الاجتماعية لتعليمية اللغة في ضوء علم اللغة الحديث

أ .حنان عواريب
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

الملخـــص: مع مطلع القرن العشرين بدأت فلسفة التعليم تتغير، فبظهور اللسانيات الحديثة وتطورها على يــد العلــم اللغــوي دي سوسير، وما تبعه من نظريات لسانيه ، إضافة إلى تطور نظريات علم النفس الحديث و ظهور السلوكية جنبا إلــى جنــب مــع البنيوية اللغوية، اتخذ مسار تعليم اللغات اتجاها آخر، وبدأت تظهر على السطح رؤى ونظريات حديثة عززت من تطور التعلــيم ومناهجه.

نحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على جانب من جوانب هذا التطور و التغير ألا و هو اتجاه فلسفة التعليم نحــو تأكيد الوظيفة الاجتماعية للغة ألا و هي وظيفة التواصل و بعث قيم المجتمع ،و أهمية تفعيل دور تعليم اللغة بالتركيز على وظيفة اللغة لا على بنيتها النحوية و الصرفية.

Rèsumer

Avec le début du XXe siècle Philosophie d'apprentissage a commencé à changer, Avec l'avènement de la linguistique moderne et l'évolution de la part de la science linguistique de Saussure, et les théories ultérieures multilingues, en plus du développement des théories de la psychologie moderne et l'émergence de comportement ainsi que la langue structurel, a pris le chemin de l'enseignement des langues autre de tendance, et a commencé à apparaître sur les visions de surface et les théories de renforcement moderne de l'éducation et le développement du curriculum. Essayez à travers cet article de mettre en évidence l'aspect de cette évolution et de changement ne doit pas et c'est le sens de la philosophie de l'éducation à la confirmation de la fonction primaire de langue seulement et est une fonction de communication et envoyé les valeurs d'une société et l'importance de l'activation du rôle de l'enseignement des langues en mettant l'accent sur la fonction de la langue e non sur sa grammaire et morphologique.

Abstract :

- With the beginning of the twentieth century philosophy of learning has begun to change with the advent of modern linguistics and the evolution from the science of linguistics Saussure, and multilingual subsequent theories, in addition to the development of theories of modern psychology and the emergence of the structural behavior and language, has gone the way of teaching languages other trend, and began to appear on the surface visions and theories of modern education and strengthening curriculum development.

Try through this article to highlight the aspect of this evolution and change should not and this is the meaning of the philosophy of education to confirm the primary function of language and is only a function of communication and sent the values of a society and the importance of activating the role of language education with an emphasis on the function of language e not on grammar and morphology

المقـــال:

نقصد بالأسس الاجتماعية في العملية التعليمية، المعايير الاجتماعية التي تحكم عملية التعلم ومـا تتطلبـه هـذه العملية من خصائص ومميزات ؛ ابتداء من التركيز على المتعلم بوصفه عضوا في المجتمع إلى الاعتناء بقيم المجتمـع وتقاليده وثقافته التي ينتمي إليها متعلم اللغة من خلال اختيار مناهج وبرامج ومواد دراسية تتوافق وهذه الأسس.

المدرسة مجتمع صغير، يضم من القيم والعادات والتقاليد ما يعبر عن مجتمع المتعلمين وواقعهم اليومي ، هـذا هو التصور الذي تحاول تكريسه بعض المذاهب والنظريات الخاصة بتعليم اللغة، فكل مؤسسة لا تراع فـي مناهجهـا وموادها التعليمية قيم المجتمع ، فهي مدرسة بعيدة عن طموحات ومتطلبات الحياة التعليمية العصرية.

مع مطلع القرن العشرين بدأت فلسفة التعلم تتغير، فبظهور اللسانيات الحديثة وتطورها على يد العلم اللغوي دي سوسير، وما تبعه من نظريات لسانيه ، إضافة إلى تطور نظريات علم النفس الحديث و ظهور السلوكية جنبا إلى جنب مع البنيوية اللغوية، اتخذ مسار تعليم اللغات اتجاها آخر، وبدأت تظهر على السطح رؤى ونظريات حديثة عززت مـن تطور التعليم ومناهجه.

فشلت النظريات التقليدية أو كما يسميها البعض " القواعد القديمة " في وضع برامج وأسس لتعليم اللغة لأبنائهـا ولغير أبنائها، فقد كانت تلك القواعد جميعها.....تعتمد اللغة المكتوبة أساسا لها، و تهمل لغة الحديث الشفوي، وبذلك زاد ابتعادها عن الاستخدام الفعلي للغة الحديث، وفرضت على الدارس استخدامات قديمة لم يعد أحد يعيرها أي اهتمام فـي اللغة اليومية....."[1]

فضلا عن ذلك ركزت القواعد التقليدية، على قواعد النحو والترجمة، فلم يكن همها سوى تعليم القواعد و إتقانها، مما أضفى على مناهجها الملل وعدم الواقعية.

أعادت النظرية البنيوية ولو بشكل بسيط، الاعتبار للغة الشفوية ولطرق التعليم " فقد اتخذت هذه المدرسـة مـن مدرسة السلوكيين في علم النفس حجر الأساس الذي ترتكز عليه، ولذلك فقد كان اهتمامها مقصورا على السلوك اللغوي الظاهري الذي يمكن ملاحظته بالحواس........ ولذلك فقد ركزوا دراستهم على لغة الحديث الشفوية بالدرجة الأولـى بعكس ما كان يفعله التقليديون، و اعتبروا هذا المظهر من مظاهر اللغة، المظهر الأول و الأساسي و الأهم، بينما أتـت دراستهم للغة المكتوبة تالية وثانوية، ولهذا فقد ظهر في دراستهم الاهتمام الواضح بالجانب اللفظي للغة" [2]

فقد كان من بين خصائص هذه النظرية ما يلي[3]:

1 – اهتموا بالسلوك اللغوي الظاهري(تأثرا بالسلوكية)

2 – ركزوا على لغة الحديث الشفوية بالدرجة الأولى.

3 – الاهتمام بالجانب اللفظي دون المعنوي.

4– التركيز على اللغة الحية(لغة الحديث اليومي).

5– اكتشفوا "الطريقة السمعية الشفوية "

تعد الطريقة السمعية الشفوية أكثر ما يمز الاتجاه البنيوي السلوكي في مجال تعلم اللغة، خاصة تعلـيم اللغـات الأجنبية، فقد أعادت هذه الطريقة الاعتبار إلى اللغة الشفوية بعد ما كان التركيز على اللغة المكتوبة وقواعدها كما تبين ذلك عند التقليديين. فقد" اعتمدت هذه الطريقة بشكل رئيس..... على الأطر النظرية التي أتى بها أصحاب هذه المدرسة لكل لغة من اللغات على انفراد، و اتخذت من أسلوب المثير والاستجابة و التعزيز الأسلوب الرئيس في تعلـيم الأطـر اللغوية المختلفة سواء على مستوى اللفظ أو الكلمة أو الجملة" [4]

علاوة على ذلك، فقد كانت تركز على لغة الحديث الشفوية وعلى التواصل الشفوي، فقد كان اهتمامها بـالقراءة والكتابة أقل مما ينبغي .

يمكن أن نلخص خصائص هذه الطريقة في ما يلي:[5]

1* تقدم المادة الجديدة في شكل حوار.

2* يكون الاعتماد الأكبر على المحاكاة وتذكر العبارات، و زيادة التعلم.

3* تقدم البنى عن طريق التقابل، ولا تقدم إلا بنية واحدة في وقت واحد.

4* تعلم الأنماط البنائية باستعمال أمثلة مكررة.

5* لا مكان لشرح نحوي، فالنمو يعلم بالقياس الاستقرائي لا بالشرح الاستنباطي

6* تحدد المفردات تحديدا صارما، وتقدم في سياق.

7* توجيه اهتمام كبير إلى النطق.

8* التأكيد على الإكثار من استعمال شرائط التسجيل، ومعامل اللغة البصرية.

9* لا يسمح للمدرس أن يستعمل اللغة الأم في الشرح إلا عند الضرورة القصوى.

10* تعزز الاستجابات الناجحة فورا.

11* تشجيع الطلاب على إنتاج لغة خالية من الأخطاء.

12* الميل إلى الاهتمام باللغة لا بالمحتوى.

على الرغم من السلبيات التي وجهت للبنيويين ولهذه الطريقة تظل الطريقة السمعية الشفوية الأحداث والأفضل في ذلك الوقت خاصة بإعادتها الاعتبار للغة الشفوية، وتطويرها لأساليب الحوار والمناقشة بالتركيز على مهارتي السمع والنطق.

ابتعدت النظريات التقليدية عن الأسس الاجتماعية للتعلم، فقد كانت أكثر جمودا، وحاولت البنيوية (السلوكية) أن تكون أكثر حيوية باعتمادها اللغة المنطوقة لو أنها لم تقع في التكرار الممل وإقصائها للمعنى واعتماد كل ما هو ظاهري وشكلي.

بعد فشل هاتين النظريتين بدأ العلماء يفكرون في مناهج أكثر واقعية وحيوية، أكثر نفعية للمتعلم.

يعد الاتجاه الوظيفي ثورة الاتجاهات في مجال اللسانيات و تعليمية اللغة، بفضل هذا الاتجاه "اتجه تعليم اللغة نحو الوظيفة النفعية والاجتماعية، إذ لا فائدة من تعلم أي مادة إذ لم يكن لها نفع اجتماعي، وفائدة للناشئ في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه، ومادامت اللغة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات، فإن لها وظيفة تؤديها في تسهيل عمليات الاتصال، ونقل الفكر والتعبير عن النفس "[6]

يجمع الوظيفيون على أن الوظيفة الأساسية للغة هي " التواصل " فمن خلال أبحاثهم ودراستهم حاولوا الربط بين النظام اللغوي " البنية اللغوية " وبين " كيفية استعمال هذه البنية " أي بين النظام والوظيفة.

بفضل الوظيفة تغير منهج التعليم، فلم يعد تعليم اللغة مقتصرا على اكتساب المتعلم مجموعة من البنى اللغوية و إنما يهدف تعليم اللغة إلى تحقيق القدرات اللغوية التواصلية بحيث يتمكن التلميذ من ممارستها في حياته الطبيعية.

تعد النظرية الوظيفية اللغة وسيلة للتواصل الاجتماعي، (انعكس هذا الوعي لوظيفة اللغة على مناهج تعليمها في المدرسة فلا بد أن يجد المنهج اللغوي في تقديم المفردات مثلا إلى المفردات المهمة في الحياة المتعلم، والى المفردات الأكثر شيوعا في الحياة اليومية، ولابد أن يأخذ تعليم التعبير سواء أكان شفويا أم كتابيا طابعا وظيفيا، يرتبط أساسا بمواقف الحياة اليومية اللغوية، حيث يتدرب التلميذ على الحديث في مواقف مشابهة تماما لما يتعرض له خارج الحياة المدرسية)[7]

فقد أعادت الوظيفة الاعتبار للتعبير الشفوي، مركزة على المواقف الاجتماعية اليومية للمتعلم، وحاولت أن تضفي على موضوعات التعبير الكتابي الطابع الوظيفي الاجتماعي.

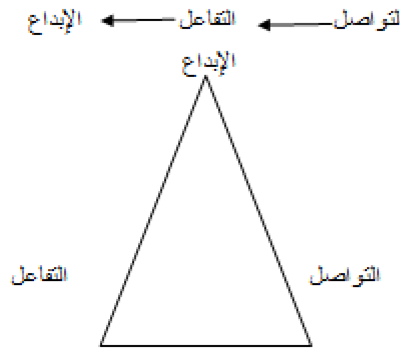
فقد تطورت في السنوات الأخيرة موضوعات التعبير بنوعيه وظهر ما يسمى بالاتجاه الوظيفي في التعبير،أو ما يسمى بالتعبير الوظيفي.

بهذا الفعل " تم الانتقال من ديداكتيكا اللغة التي تحصر الفعل اللغوي في مستوى لغوي أصغر (la microlinguistique) إلى الاهتمام بالوظيفة الداخلية والخارجية للنظام اللغوي ؛ العوامل السيكولوجية والبيولوجية والثقافية ؛ أي دراستها في مستوى لغوي أكبر(la microlinguistique) [8]

هكذا استطاعت الوظيفية أن تخلق قيما جديدة في دراسة اللغة و تدريسها ، و تمكنت من بعث قيم اجتماعية جديدة في العمل التعليمي .

لا نقصد بالقيم المجتمعية، تلك الثقافات والعادات والتقاليد التي تميز كل مجتمع عن آخر فحسب، بل نقصد كل ما يضفي على العملية التعليمية قيم الجمعية بداية من التواصل الفعال إلى التفاعل بين الجماعات إلى الإبداع والإنتاج والبناء.

في رأيينا إن لم تتحقق هذه العناصر الأربعة في المناهج والمواد الدراسية فهي بعيدة كل البعد عن مفهوم التعلم الفعال.



الشكل (01)

يسعى التعليم الفعال إلى تحقيق الفعالية في التعليم، من خلال دمج الطفل في البيئة التعليمية والاجتماعية التي ينتمي إليها، ويحدث التفاعل بين هذه العناصر.

فمن أهم خصائص التعليم الفعال مايلي[9]:

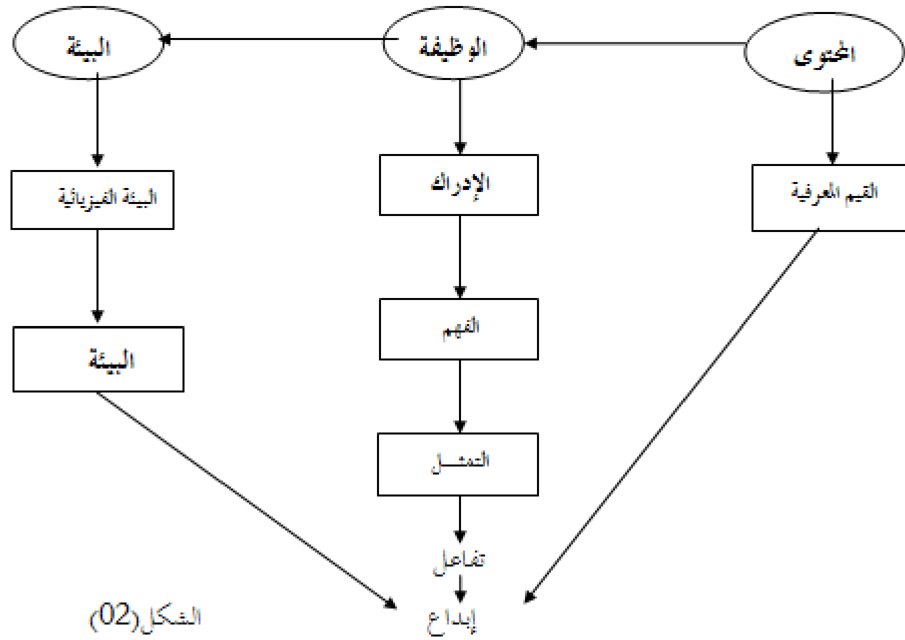
- أنه تعليم يجعل من حياة المدرسة حياة اجتماعية مبنية على التعاون والتفاعل الايجابي والود.
- أنه تعليم منفتح على البيئة يجعل خبرات التعليم مرتبطة بالبيئة ويجعل الطلبة أكثر انفتاحا على البيئة وأكثر قابلية للتعامل مع مختلف جوانبها المادية والاجتماعية.
- تسعى التربية الحديثة عن طريق ما يسمى بالتعليم الفعالEffective Instruction إلى جعل الطفل أكثر تكيفا مع البيئة الاجتماعية والبيئة التعليمية، من خلال تطبيع المتعلم اجتماعيا وثقافيا بطابع مجتمعه وثقافته، وتشجعه على ممارسة العمل اللغوي كما لو كان في الوسط الاجتماعي.

وباختصار فإن التعليم الفعال Effective Instruction يشير إلى العملية التي توجب علاقة فعالة مؤثرة متنامية نموا متسقا مطردا بين المعلم وطلبته، فالتعليم الفعال هو عملية دمج مجموعة أساليب عملية متباينة ذات أبعاد متصلة بعضها مع بعض هذه العملية تتطلب ضم نماذج تعليمية متنوعة مثل: نموذج نقل أو تحويل المعرفة، ونموذج التعليم من خلال الاستقصاء، ونموذج تشجيع العلاقات والتفاعلات الشخصية [10]

إذن لم يعد هذا التعليم والتعلم هو اكتساب المعارف فقط و إنما التفاعل بين أفراد هذه العملية، لأنه بالتفاعل يحدث الإبداع.

الإبداع في التعليم هو عملية الإنتاج الفكري والمادي، وهو باكورة ما قد يصل إليه المعلم مع المتعلم، فهو عملية الإنتاج والبناء ؛ فالتعليم البناء والفعال هو الذي يمتلك طرق وأساليب تجعل المتعلم أكثر فاعلية و أكثر قابلية للإبداع ف" التعليم الإبداعي يساعد المتعلم على أن يصبح أكثر حساسية للمشكلات وجوانب النقص والثغرات في المعرفة أو المعلومات واختلال الانسجام، وتحديد مواطن الصعوبة وما شابه ذلك، والبحث عن الحلول، والتنبؤ، وصياغة فرضيات واختبارها، وإعادة صياغتها أو تعديلها من أجل التوصل إلى نتائج جديدة ينقلها المتعلم للآخرين" .[11]

كلما كان هناك تواصل ثم تفاعل بين المعلم والمتعلم، تفاعل عوامل البيئة الاجتماعية، المادية للمتعلم سيحدث الإبداع والإنتاج وهذا المخطط يوضح هذا الفعل التعليمي[12]



الشكل(02)

يتضح من خلال المخطط أعلاه، تفاعل البنى المعرفية مع البيئة المادية والاجتماعية، وربما هذه الفكرة مستوحاة من قول بياجيه، إذ يعترف أن التعليم يتم جزئيا بفعل عوامل البيئة الاجتماعية والمادية[13].

مع مطلع القرن العشرين، بدأت التربية الحديثة ومناهج تعليم اللغة تغير من فلسفتها التعليمية بالتأكيد على ضرورة مراعاة القيم الاجتماعية في تعليمية اللغة كون اللغة كائن اجتماعي .فلهذا يتطلب تعلميها مناهج تنبع من خصائصها.

حاولنا اختصار ثلاثة أسس وعناصر أساسية تعبر عن هذه القيم الاجتماعية .

1* لغة البيئة.

2* المشافهة.

3* التواصل.

أ/ لغة البيئة:

يعد اختيار النمط اللغوي أحد أهم الشروط الأساسية في تعليمية اللغة، وبما أنه لا توجد لغة إنسانية تجري على نمط واحد، ولا على مستوى واحد، وإنما اللغة الواحدة مستويات وأنواع، ولكي (يختار) مادة لتعليم اللغة لأبنائها أو لغير أبنائها فإنه لابد من الاختيار بين أنواع اللغة الواحدة[14].

لا لتعليم لغة ميتة أو لغة مصطنعة، لغة لا علاقة لها بواقع المتعلم، فالقصد من التعليم هو تحقيق التواصل بين الآخرين، والمساهمة في التنمية الثقافية والفكرية والعلمية، إذن فلا حاجة إلى لغة لا تحقق هذه الوظائف.

على هذا الأساس بنيت مختلف المناهج الحديثة لتعليم اللغات وأصبح(من المخطط التربوي استخدام النطائق المألوفة في لغة المنشأ)[15]

أكد عبد الرحمن الحاج صالح على هذه الفكرة في قوله" وعلى هذا الأساس فالاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تشتمل هذه الحياة اليومية هو الذي ينبغي أن يكون المقياس الأول والأساسي في بناء كل منهج تعليمي " [16]

لهذه الأسباب، وبنفس الرؤية، تشير فلسفة تربوية تعرف باسم التعلم النشط على أن" التعلم لابد أن يرتبط بحياة التلميذ، وواقعه واحتياجاته، واهتماماته، ويحدث من خلال تفاعل التلميذ مع كل ما يحيط به في بيئته، وينطلق من استعدادات المتعلم وقدراته، ويحدث في جميع الأماكن التي ينشط فيها المتعلم في البيت، المدرسة الحي، النادي، الطبيعة" [17].

اللغة نسق رمزي، ومجموعة عادات و سلوكات، ترتبط ارتباطا كليا ببيئة المتعلمين بها تصبغهم بصبغتها، تعبر عن مشاعرهم وعواطفهم ،تتطور بتطورهم حاملة ثقافتهم ومعارفهم. ولذا فلا أحد يتعلم اللغة من أجل اللغة فقط أو من أجل إرضاء القوم الناطقين بها، وإنما تكون دراستها لاستخدامها في حياته اليومية والتعبير بها والتواصل بها مع غيره، لذا وجب أن تدرس بطرق ومناهج خاضعة لانتمائها الاجتماعي والثقافي التي تتداول فيه.

وليس ببعيد عن فلسفة التعلم النشط اقترح عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح "الانغماس اللغوي" فهو حسب رأييه طريقة جديدة ومنهج يساعد على تعليم اللغة ؛ هذه الطريقة أي الانغماس اللغوي تعني (أن المهارة لا تنمو ولا تتطور إلا في بيئتها الطبيعية وهي البيئة التي لا يسمع فيها صوت أو لغة إلا بتلك اللغة التي يراد اكتسابها...)[18].

بل من هذا الأساس أولا و هو" البيئة الاجتماعية" اشتق الأساس الاجتماعي الثاني وهو" المشافهة".

ب/ المشافهة:

التركيز على لغة البيئة الاجتماعية والمواقف الاجتماعية للمتعلمين ، يعني أيضا اعتماد اللغة الشفوية والتركيز عليها في العملية التعليمية " فالاستعمال الطبيعي للغة يعتمد قبل كل شيء على المشافهة، فإذا اكتفى فيه على الجانب الكتابي فقط أو قل نصيبه في التعليم فإن الطالب سيضطر بعد تخرجه أن يخاطب الناس بلغة مصطنعة"[19] .

فاللغة مشافهة قبل أن تكون كتابة وتحريرا، فالأولى إذن عند تعليمها، التركيز على اللغة الشفوية قبل المكتوبة، كي يتسنى للمتعلمين التواصل بها واستعمالها بشكل صحيح.

فكثير من المناهج التي غفلت هذا الجانب الاجتماعي المهم في عملية التعليم كانت نتائجها وخيمة وفشلت في إكساب المتعلمين اللغة المراد تعليمها ، يقول محمد الأوراغي في هذا الشأن " و يتأكد في هذا الموضع من جديد أن الكتاب الورقي يفيد بنسبة معينة في تعليم اللغة الكتابية، لكنه في تعليم اللغة الشفوية يبدو قصوره واضحا، وقد لا يكون من المبالغة القول أن الحضور الضعيف للغة العربية في الاستعمال الشفوي في مجتمع الناطقين بها يرجع إلى اختصار المناهج التربوية في الأغلب الأعم على الكتاب الورقي، وعدم استغلال الوسائل السمعية بما يكفي لاكتساب المتعلمين عادة التخاطب بالعربية "[20].

إذن، فمن أهم أسباب فشل المتعلمين العرب التخاطب بالعربية هو التركيز على تعليم المكتوب قبل المنطوق.

في العادة تختلف اللغة المستخدمة في الشارع عن اللغة الرسمية المتداولة في الحياة الرسمية والثقافية والعلمية شأن الدول العربية فالدارجة لغة للحياة اليومية، والفصحى لغة الحياة السياسية والثقافية والعلمية ، هذا الأمر يصعب كثيرا من عملية التعلم، فربما الحرص على تعليم مستوى على حساب مستوى آخر يضاعف الهوة بين المضامين ويخلق فجوة بين ما تعلمه المتعلم وبين ما يستخدمه خاصة وأن إحداها شفوية والأخرى مكتوبة.

في هذه الحالة يؤكد نايف خرما وعلي حجاج على ضرورة التدريب الشفوي على استخدام الفصحى كي يعتادها المتعلم وتتقلص الفجوة بينها وبين النمط الشفوي الآخر[21] .

فمن بين أهم الأخطاء التي وقع فيها واضعو البرامج ومطبقوها، هو التركيز على تعليم ما كتبه الأدباء والشعراء وغيرهم، وتغافلوا عن المخاطبات الشفوية اليومية التي تشكل القسط الأوفر من استعمال الناس للغة، فهذا الجانب كان قد تناساه المربون وأغفلوا عنه وصاروا لا يلتفتون إلا إلى النصوص الأدبية خاصة، ولهذا كان المتعلم للغة لا يجد فرصة أبدا لتطوير وتنمية قدرته على التعبير الشفوي[22] و يكسب المتعلم القدرة على التواصل الاجتماعي.

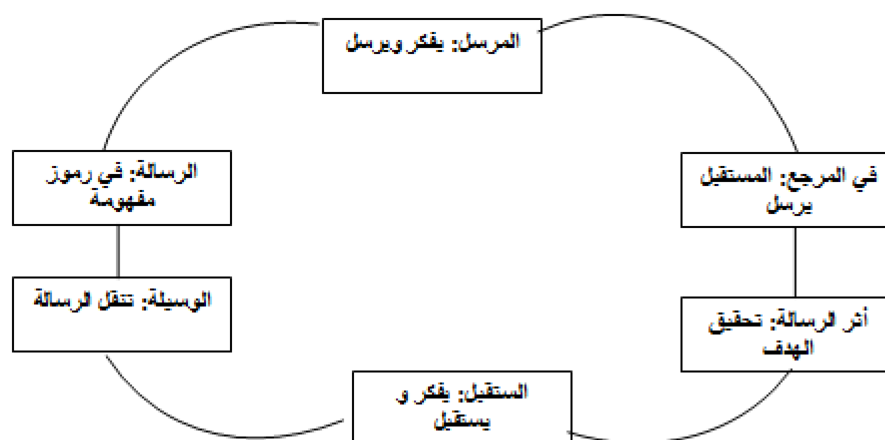
ج/التواصل :

مصطلح التواصل من المصطلحات الحديثة التي تأسست عليها كثير من الفلسفات التعليمية والمناهج التربوية التي اتجهت نحو التعليم الاجتماعي للغة، لذا لا نستطيع أن نتحدث عن التواصل إلا في ظل هذه النظريات والفلسفات التي جعلت من القدرة التواصلية أساسا لتعليم اللغة([23].

يعرف التواصل بأنه " الإبانة عن المعاني النفسية باستخدام الرمز اللغوي في أي مجال جرى هذا الاستخدام ([24]".

أما التواصل في مجال التعليم فهو عملية منظمة ومحكمة، تضبطها قواعد وأسس، فهو تلك العملية التي تربط المعلم بالمتعلم داخل القسم.

" والاتصال التعليمي في هذا الإطار ليس من طرف واحد كما يفهمه بعض المعلمين يبدأ بالمرسل وينتهي بالمستقبل، ولكنه في صورته الفعالة يتم بشكل دائري وفي مجال أشمل وأوسع يهتم بكل الظروف و الإمكانيات التي تحيط بالعملية التعليمية ككل، ولذلك يطلق على عملية الاتصال التعليمي بأكملها أحيانا البيئة التعليمية learning Environment أو موقف التعلم.learning situation لما تتسم به من تفاعل مستمر بين عناصرها ومكوناتها([25]، ويبدو ذلك موضحا في الشكل(03) كمايلي:



يتضح من كلام الكاتبة، ومن خلال هذا المخطط، ضرورة تبادل الحوار والاتصال بين المعلم والمتعلم، لابد أن يتناوب المعلم والمتعلم على الحديث في العملية التعليمية فيكون المعلم مرسلا أحيانا ومستقبلا أحيانا أخرى يساعد هذا الأمر على حدوث التفاعل في العملية التعليمية.

أطلق على الاتجاه الذي ينطلق من الاتصال و التواصل في العملية التعليمية بالمنحى الاتصالي أو التواصلي ، و الذي يعرفه رجب فضل الله في قوله :" يعد المنحى الاتصالي مدخلا اجتماعيا في تعليم اللغة يعكس بشكل واضح ما يمكن أن يسمى التمهير، أي النظر إلى اللغة على أنها مجموعة من المهارات، وأن التركيز عند تعليمها ينبغي أن يكون على مهاراتها، وليس على فروعها، وعلى الممارسة لا على الحفظ"[26]

يذهب وللكنز إلى أكثر من هذا الحد في تحديده لمفهوم التعليم الائتصالي الاتصالي اذ يقول " تنمية القدرة عند الفرد لأن يبدع create ويكون construet أشكال التعبير ulterances (كلاما و كتابة) التي لها القبول الاجتماعي، أو تحقيق الهدف المطلوب "[27].

فالتعليم التواصلي هو تعليم قائم على اكتساب المتعلم المهارات اللغوية الأربعة(السماع، الكلام، القراءة، الكتابة) بشكل متكامل، ثم القدرة على توظيف هذه المكتسبات في حياته اليومية بشكل سليم. وهذا ما يلخصه دوجلاس براون عندما يقول:" تعليم اللغة اتصاليا، أي بهدف أن يستطيع المتعلم أن يتصل بأهل اللغة نفسها، و من ثم بدأ التركيز على مهارات الحديث والاستماع والقراءة والكتابة لأهداف اتصالية محددة"[28]

على الرغم من أن التعليم التواصلي يهدف إلى إكساب المتعلمين المهارات اللغوية الأربعة وتنميتها، فإنه يركز بالدرجة الأولى على المحادثة والتعبير الشفوي أولا، مع الحرص على تكاملها عند تدريسها.

تطور المدخل التواصلي بشكل كبير بعد سنوات قلائل من ظهور نظرية تشومسكي خاصة بعد ظهور وانتشار أفكار مدرسة جديدة أطلق عليها اسم مدرسة علم اللغة الاجتماعي أو نظرية التعليم الاجتماعي، وهي تطور للوظيفية بل مدرسة من مدارسها، جاءت كرد فعل لنظرية تشومسكي.

ونظرية التعليم الاجتماعي، كما يدل اسمها ،ـ تبحث في سلوك الأفراد في المواقف الاجتماعية، فالتعلم يحدث في بيئة مليئة بالمعاني ويكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي مع الناس الآخرين[29]

يعد هايمز رائد هذه النظرية التي طورها بدوره عن أراء جاكسون ومايتيني وهاليداي وغيرهم، "اقتراح هايمز في منتصف الستينات نموذجا وظيفيا هو في جوهره رد فعل للنحو التوليدي التحويلي الذي يعزل اللغة عن شروط استعمالها، وتوقف عند ثنائة(تشومسكي) " القدرة والانجاز" ورأى أن تعريف (تشومسكي) للقدرة اللغوية....تعريف ضيق لا يتناسب مع الطبيعة الاجتماعية للغة ، ومن ثم اقترح استبدال القدرة اللغوية بالقدرة التواصلية(la competence communication)[30]

نعني بالقدرة التواصلية: "البحث عن قواعد القدرة على التواصل أو ملكة التواصل التي تشمل القدرة اللغوية ولكنها تتعداها إلى استخدام اللغة في المجتمع، وعن القواعد الاجتماعية التي تحكم ذلك الاستخدام"[31]

عرف المنهج التواصلي شأنه شأن المنهج البنيوي،ظهور طرائق: الطريقة الصامتة والطريقة الطبيعية، وطريقة الاستجابة بالإحاء، وطريقة تعلم اللغة في المجتمع.

وأخيرا، تقوم نظرية التعليم التواصلي على أن التعليم لابد أن يقوم على السلوك التواصلي والحياة الاجتماعية لا على مجرد إكساب المتعلم مجموعة قواعد نحوية أو صرفية مجردة.

ن خلص في الأخير إلى أن اعتماد اللغة الشفوية و الاهتمام ببيئة المتعلم وواقعه الاجتماعي و العناية بالتواصل اللغوي هي أهم ركائز التعليم الاجتماعي للغة. التي يجب الإلمام بها في بناء مناهج تعليم اللغة لأبنائها أو لغير أبنائها .

الإحالات:

1 – نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنـــون و الآداب ، الكويت ، 1988 ، ص22.

2 – المرجع نفسه، ص28

3 – المرجع نفسه، ص33

5 – ينظر، دوغلاس براون، أسس تعليم اللغة وتعليمها ،تر عبده الراجحي و علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعـــة و النشر ن بيروت ، 1994 ، ص126/125

6 – أحمد عوض، مداخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسحية نقدية، جامعة أم القرى ، ص77

7 – المرجع نفسه ،ص77

8 – علي آيت أوشان، اللسانيات و البيداغوجيا(نموذج النمو الوظيفي) دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص24

9– صفا أحمد غزالي، الحداثة في العملية التربوية ، دار الثقافة ، عمان ، 2010،ص87

10– نفسه، ص86

11– المرجع نفسه، ص88

12– نفسه، ص188

13– ينظر نايف خرما، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،ص63

14 – عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1996، ص37

15– محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة ، مطابع الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2010، ط1 ص180

16– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،موفم للنشر،الجزائر ، 2007 ج1، ص176

17– حسن شحاته، استراتجيات التعليم والتعلم الحديثة وصناعة العقل العربي الدار المصرية اللبنانية،ط1 2008 ،مصر، ص32

18 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1، ص193

19 – نفسه، ص176

20 – محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص203

21 – ينظر نايف خرما، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،ص140

22 – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ،ج1 ،ص192

23 – محمد الأوراغي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، ص70

24 – المرجع نفسه، ص 70

25 – صفا أحمد الغزالي، الحداثة في العملية التربوية ،ص86

26 – محمد رجب فضل الله، المنحى الاتصالي وتنمية المهارات اللغوية، www.horoof. Com

27 – رشدي أحمد طعيمة، محمود كامل الناقد، تعليم اللغة الاتصالية بين المناهج والاستراتيجيات

28 – دوجلاس براون، أسس تعليم اللغة وتعليمها، ص244(

29 – نايف خرما و علي حجاج ، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها ، ص 65

30 – علي آيت وشان، اللسانيات والبيداغوجيا ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1998ص40

31– نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية ص40